الـزخـرفـــــــة

تأليف

حــازم عـفيـفـي

الناشر

مؤسسة دار الفرسان للنشر والتوزيع

745 حازم عفيفي

ح.ع الـزخـرفـــة/ حــازم عـفيــفي . — ط1 . —

القاهرة : مؤسسة دار الفرسان للنشر والتوزيع ،

2011 م .

16 ص : أيض ؛ 24 سم . — (مـوسـوعـــة

الفنـــــــون للأطفال ؛ 9)

تدمك : 977-6169-58-9

1 - فنون . أ- العنوان . ب - سلسلة .

رقم الإيداع : 2011/14537

ترقيم دولي : 977-6169-58-9

اسم السلسلة : الفنون للأطفال

الكتــاب : الـزخـرفــــــــة

المـــؤلـف : حـــازم عـفيـفـي

الناشر : مؤسسة دار الفرسان للنشر والتوزيع

العنوان : 51 شارع إبراهيم خليل – المطرية

e-mail:tarek.elforsan@yahoo.com

الطبعة الأولى

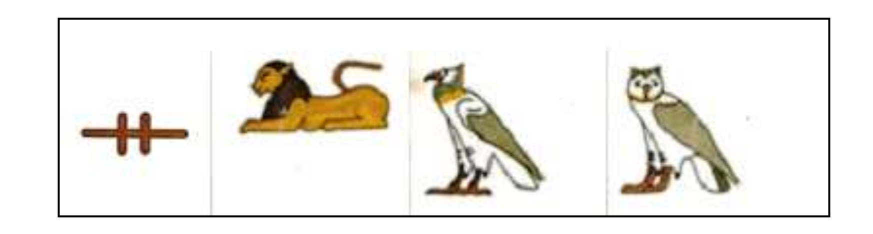
1432 هـ - 2011 م

تحذير

إذا كان الفن غايته هي إبراز الجمال وصناعته ، فإن الزخرفة تعد من الوسائل المهمة التي تبرز هذا الجمال وتصيغه في صورة متناغمة بديعة، ومن هنا جاء الفنان المبدع ليجمِّلَ العالم من حوله ويصبغه بلون من الحسن والجمال ، والزخرفة هي الفن المتمم والمجمل لكثيرٍ من الفنون الأخري كالنحت والعمارة ، والمادة الأصلية المستخدمة في بعض الفنون الأخرى كالرسم والطباعة ، ومن ثم فالزخرفة فنٌ يخدم ويكمِّل الفنون الأخرى .



والزخرفة هي كل رسمٍ على مسطَّح لملء الفراغ بغرض الإحساس الجمالي ، وتعتمد على تجريد الخطوط والحروف الهجائية والأشكال الهندسية ، وأشكال أوراق النبات والجماد والحيوان ورسمها في صورة بسيطة تبتعد عن التقليد والمحاكاة المباشرة .



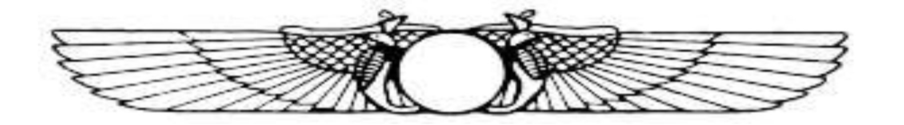
وقد ارتبطت الزخارف بأشكالُها وتنوُّعها بثقافات الشعوب وقدرة الفنان على استخدام مهارته في تحويل المشاهد الطبيعية المحيطة به من نبات وحيوان وجماد إلى أشكال أبسط تتناغم فيما بينها ويستوحي منها رموزًا بديعة يزيِّن بها بيته وأدواته وأشيائه العامة والخاصة ،

فالزخرفة هي نقل الصور الطبيعية الموجودة في العالم المحيط بالفنان إلى لغة ينقشها بريشته أو إزميله على سطح أوراقه أو جدرانه ... وقد عرفت الحضارات هذا الفن منذ أقدم العصور واختلفت نظرة الفنان للواقع من حوله كما اختلفت أدواته التي جرَّد بها الصور والأشكال من حوله ، فنجد الإنسان المبدع في بلاد العراق القديم يستخدم ألوحًا من الطين ينقش عليها بإسفين رموزه الزخرفية ثم يتركها تجف في الشمس تبقي آثاره بعض الوقت ثم يفكر فيما هو أبقى أثرًا وأفضل شكلاً فعرف النقش بعض الحروف الهيروغليفية المصرية المأخوذة من صور الحيوان والطبيعة .

بازميل حادٍ على صخر صلبٍ ، ونفسُ الشيءُ حدث في مصر القديمة لكن إبداع المصري القديم في مجال النقوش والزخارف وصل إلى قمة الجمال والإبداع بل والكمال في هذا الفن وزيَّن جدران معابده وقصور فراعنته وأمرائه .

وكانت محاولة الفنان المبدع لنقل أشكال الطبيعة من حوله في صورة رموز مبسطة مرسومة ومنقوشة هي البداية الحقيقية لوضع حروف الكتابة المعروفة ، فعرفت بلاد العراق القديم الكتابة السومرية

وعرفت مصر الكتابة الهيروغليفية وعرف الفينيقيون بالشام الحروف الفينيقية وجميع هذه الكتابات ذات حروفٍ مستوحاة كرموز من عناصر الطبيعة ... وهكذا عُرفت فنون الزخرفة في كثير من الحضارات القديمة وأبدع فيها الفنان القديم حتى صار هذا الفن يعبر عن ثقافة الأمم والشعوب .





زخارف مصرية قديمة

الزخرفة الإسلامية

لا شك أن الزخرفة الإسلامية كان لها أبرز الأثر في إظهار النهضة الإسلامية ، فقد ازدهرت الزخرفة الإسلامية بدرجة كبيرة من التصميم والإخراج والأسلوب ، وقد استخدم الفنانون خطوطًا زخرفية رفيعة المظهر والتكوين ، وجعلوا من المجموعات الزخرفية نماذج انطلق فيها خيالهم إلى اللانهاية من التشابك والتكرار والتناظر والتقابل ، وابتكروا المضلعات النجمية وأشكال التوريق ، وأشكال التوشيح العربي الذي عُرف عند الأوربيين (Arabesque) الأرابيسك ،

ولا يزال هذا النسق العربي من الزخرفة يحظى بكثيرٍمن الاهتمام في كثيرٍ من البلدان ويعكس صورة واضحة من الزخرفة ذات الجو العربي العريق ، وقد برع أهل فن الزخرفة الإسلامية في صنعة النحت المسطَّح والغائر على الخشب والحجارة والرخام ، وبرعوا في استخدام المواد الملوَّنة وأجادوا النقوش.

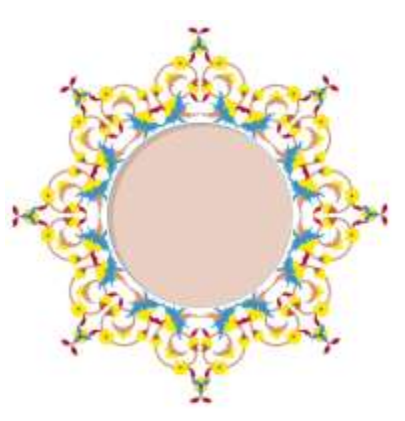
وهناك نوعان من الزخارف التي ابتدعها الفنان المسلم قد تتداخل مع بعضها أحيانًا أو ينفرد كل واحدٍ منها أحيانًا أخرى ، وهما :

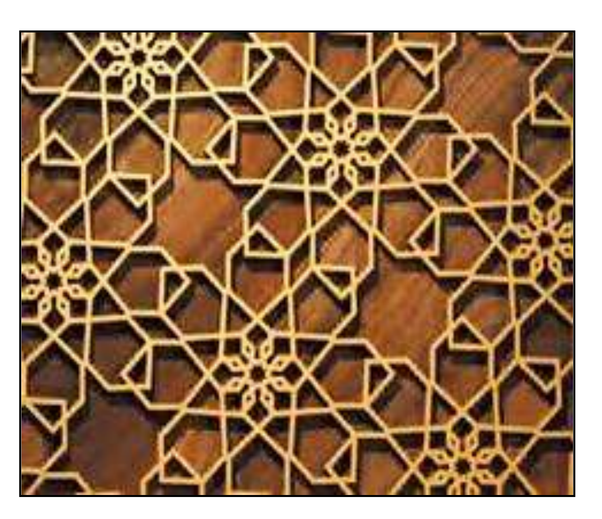
الزخرفة النباتية (فن التوريق) : عُرف هذا الفن من الزخرفة بالأرابيسك وتقوم هذه الزخرفة على استخدام أشكالاً من أوراق النبات والزهور ، وقد ظهرت جماليات هذه الزخرفة في صور متعددة من الازواج والتعانق والتقابل تتكرر وتتشابك بصورة منتظمة .

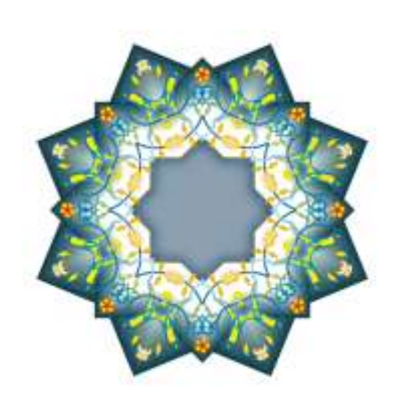
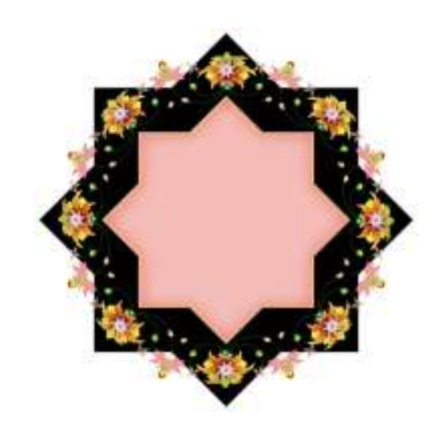
الزخارف الهندسية :استطاع الفنان بخياله أن يبتعد عن تقليد الطبيعة فجاءت توريقاته عملاً هندسيًا ابتعدت عن التشبه الصريح بالنباتات وأوراقها وزهورها لتأخذ شكلاً هندسيًا خالصًا وانتشر استعماله في تزين الجدران والقباب ، وفي التحف المختلفة النحاسية والزجاجية والخزفية ، كما استخدمها في تزين الكتب وتجليدها .

هذا بالإضافة إلى استخدام الخطوط العربية الرائعة كمادة أساسية تتداخل مع هذه الزخارف لتظهر بصورة متناغمة معها . حيث أبدع في استخدام الخطوط ومزجها بالزخارف النباتية تارة ، وبالزخارف الهندسية تارة أخرى .

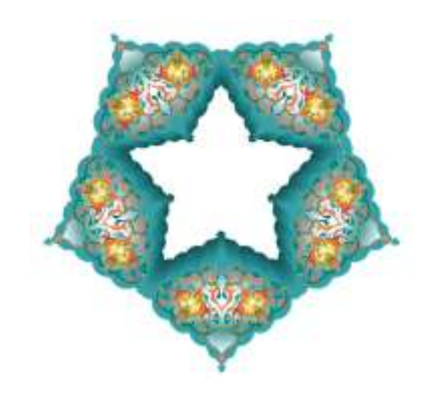















نماذج رائعة من الزخارف النباتية والهندسية

الأرابيسك

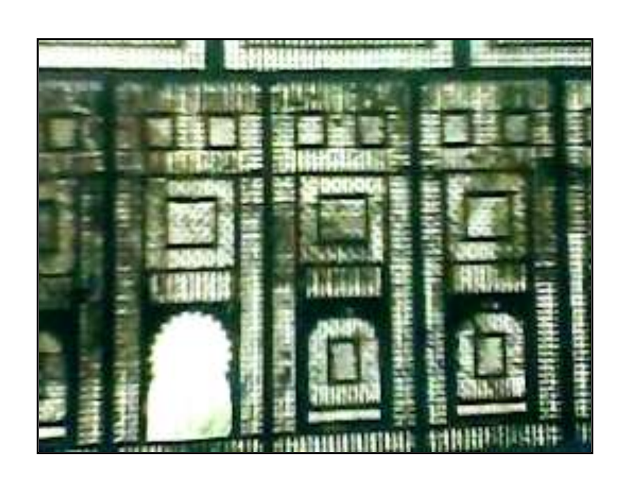
يُعرف هذا الفن بفن النقش العربي أو التوريق كما سمَّاه الإسبان ، وهو من أروع ما أنتجه المسلمون من الزخارف التي استوحاها الفنان المسلم من العناصر النباتية والهندسية بصورة متنوعة مرتبة في إيقاعٍ ثابت مما يجعلها تتسم بالنظام أي التركيب المتتابع المتكرر كما تتسم بالحيوية والتناسق البديع .

وتقوم هذه الزخرفة على استخدام الأشكال النباتية لأوراق الأشجار وأفرع الشجر والزهور المختلفة بصورة متناسقة من التعانق والتبادل والتقابل والتشابك وغير ذلك من أساليب التركيب والتكوين .

وقد ظهر هذا النوع من الزخرفة لأول مرة في الزخرفة الفاطمية التي كانت تزيِّن جامع الأزهر .

وقد أبدع أصحاب هذا الفن في خرط الأخشاب المختلفة لتكوين نماذج الأرابيسك واستخدمها في عمل الشبابيك (المشربيات) والمنابر والأثاث وعلب حفظ العطور والمجوهرات وغير ذلك من مظاهر إبداعات الفنان المسلم الزخرفية ، التي تضفي جوًا عربيًا خالصًا ، ونشاهد تلك الأعمال في البيوت الإسلامية القديمة كبيت زينب خاتون ، وفي المساجد في منابرها وشبابيكها وأبوابها وأركانها المختلفة .





نماذج من الأرابيسك

زخرفة المباني الإسلامية

الأمويون هم أولُ المسلمين اهتمامًا بالعمارة الإسلامية ، فقد استخدموا المواد المختلفة الألوان في زخرفة المباني الإسلامية منذ أوائل القرن الثاني الهجري ونجد ذلك في عمارة قصر الحيرة الشرقي ، وعقود الصلاة بمسجد قرطبة الجامع (170 هـ / 786 م) حيث حُليت واجهته بقطعٍ من الآجر وُضعت متناوبة في أشكال زخرفية هندسية بديعة مع قطعٍ من الحجارة بيضاء وسوداء استخدمت معًا بالتناوب في بناء قبة مسجد الزيتونة بتونس (250 هـ / 864 م)،





واستخدمت المواد مختلفة الألوان في زخارف القباب والمآذن والأبواب والواجهات والأرضيات ، وكانت في أبهى صورة في عمـــارة المغرب والأندلس ،

وإن كان الفن البيزنطي قد استخدم هذا الأسلوب الزخرفي في منتصف القرن الخامس الميلادي في "سالونتكا" ولم يظهر من جديد إلا في القرن 11م وأوائل القرن 12م أي بعد ثلاثة قرون من ازدهاره في الحضارة الإسلامية ،

وقد امتازت الزخارف الإسلامية المتعددة الألوان عن البيزنطية في استخدامها الأشكال الهندسية المختلفة ، وقد تأثرت بعض المناطق الأوربية بالزخارف الإسلامية العربية في إيطاليا وفرنسا وإسبانيا في بيوتهم وكنائسهم

.



مسجد قرطبة بالأندلس

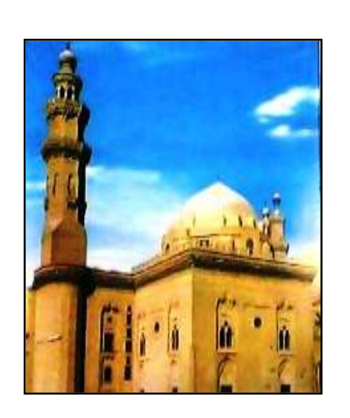
ولا شك أن فن النقش على الحجارة الذي برع فيه الفنان العربي كان مخصصًا لفئة معينة من المهندسين البارعين الذين استخدموا الحجارة في تشكيلات منحوتة بديعة استخدموها في المآذن والنافورات ذات الفصوص الملونة والمحاريب والأرضيات والتكسيات لبعض الحوائط بالرسوم والزخارف العربية الجميلة والأنماط الخطية الرائعة .





كما أبدع الفنان العربي في عمل النوافذ التي صنع بعضها من الزجاج البديع الألوان المثبَّت في الجص المفرَّغ ، حيث تنوعت فيها النقوش الهندسية والنباتية ، وصُنعت للغرف والإيوانات والمساجد ، كما عُرفت النافذة المصنوعة من الخشب المخروط الذي عُرف بالمشربية ، كما نجد خرط الخشب في قطع الأثاث والمنابر والحواجز التي كانت تُعشَّقُ بدون مادة لاصقة ورغم ذلك كانت متماسكة غاية في المتانة ،

كما برعوا في استخدام المعادن المختلفة في تحلية الأبواب والإيوانات ونجد ذلك في جامع السلطان حسن وغيره ، كما ازدهر فن زخرفة السقوف وزركشتها ، فوُضعت لها تصميمات امتازت بالتناسق والبهجة والجمال تداخلت فيها الألوان مثل سقف مسجد برقوق والمؤيد ، كما عرفوا استخدام الزجاج المنفوخ المموه بالألوان الميناثية التي صنعوا منها قطعًا لإضاءة العمائر المختلفة فصنعوا المشكاوات والقناديل ، وبرعوا في فن الفسيفساء ، وأهم ماتميَّزوا به استخدام الخطوط العربية في شغل الفراغات على الجدران ، حيث نُقشت على الحجر والخشب والخزف .





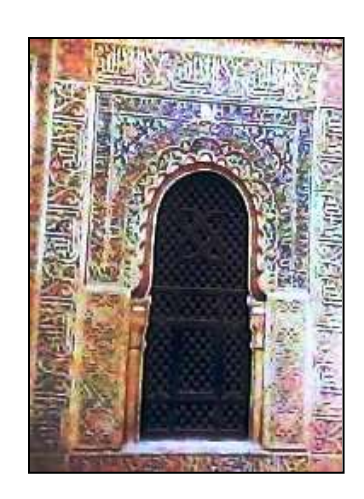


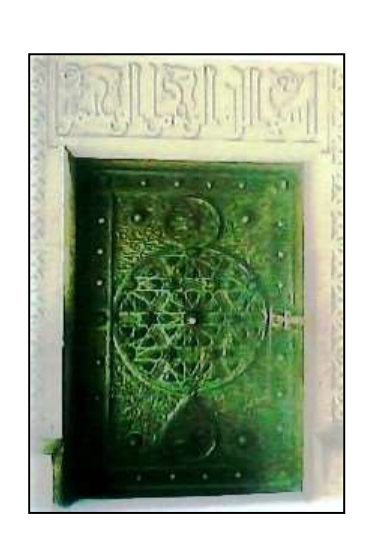
مسجد السلطان حسن - زخارف حائطية - مشكاة

الحفر على الخشب

عندما فتح العرب مصر ورثوا عن أهلها فنًا جميلاً هو الحفر على الخشب، وقد ازدهر هذا الفن في مصر الإسلامية حتى بلغ مكانة عظيمة ، وقد عُثر على حفائر أثرية بذلك بالفسطاط وعين الصيرة ، وقد ازدهر الحفر على الخشب في العصر الأموي وكان قد تأثر بالفن الهلينيستي الذي شاع في بيزنطة ، والفن الساساني الفرسي وطوَّر فيهما ، وخير مثال على ذلك الزخارف الخشبية التي تزيِّن المسجد الأقصى التي كانت تضم وحدات من أوراق العنب وتفريعاته وأوراق الأكانتاس وغيرها ، كما تألَّق هذا الفن في العصر العباسي ،







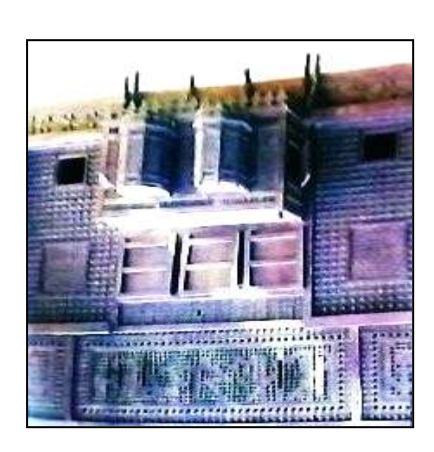
وفي العصر الطولوني تطوَّر بأن أصبح حفرًا مائلاً مشطوفًا تكثر به الخطوط الحلزونية ، كما استخدم الحفر على الخشب لتسجيل الكتابات التي كُتبت بخط هندسي كوفي ، وفي العصر الفاطمي بلغت الزخـارف الخشبيـة ذروتها وخاصـةً في القـرن 11 م ، حيث نجد فيها امتزاجًا عجيبًا بين العناصر الهندسية والحيوانية والنباتية بصورة تجعلها وحدة متماسكة ، ومن التحف الخشبية التي تمثل ذلك منبر الخليل بفلسطين ، وسار هذا الفن على نفس مستواه في العصر الأيوبي ، وبلغ هذا الفن مداه في تركيا خلال القرنين 12 م ، 13 م حيث عُثر على منابر خشبية وكراسي ومصاحف وتوابيت وأبواب منقوشة بزخارف غاية في الروعة ، وفي العصر المملوكي في مصر أبدع الفنان في زخرفة الحشوات بالرسوم الدقيقة وقد اهتم بالأشكال الهندسية النجمية وبرع فيها واستخدمها على الأبواب والمنابر الخشبية ،

كما عرف أسلوب زخرفي جديد وهو استخدام أشرطة رقيقة من نوعٍ آخر من الخشب يخالفه في اللون ، كما طعَّمَ القطع الخشبية بطبقة دقيقة من الفسيفساء تتكون من قطع العظام أو العاج أو الأصداف أو الأبنوس وهو ما عُرف بالترصيع .

المشـربيـة



من فنون الحفر في الخشب والزخرفة الإسلامية ما عُرف بالمشربية ، وهي تُصنـع من الخشب المخـروط ، ومن مميزاتها أنها تتيح دخول الهواء اللطيف من خلفها كما تسمح للنساء أن يروا ما بالأفنية أو الطرقات دون أن يراهن أحدٌ ، ومن أروع النماذج الباقية من هذا الفن ما نراه في بيت السحيمي بالدرب الأصفر بالجمالية ،



وقد ازدهر خاصةً في عصر المماليك وبلغ في عصرهم حد الإتقان ، وكانت فتحات العيون في المشربية تتفاوت اتساعًا وتُملأ أحيانًا بقطعٍ أخرى من الخشب المخروط بنفس لون الخشب وشكل الخرط أو بلون وشكلٍ آخر .





فن زخرفة الخزف

ترتبط صناعة الخزف ارتباطًا وثيقًا بالزخرفة ، فقد كانت هي والزجاج من المواد الأساسية التي اهتم بها الفنان العربي واستخدم سطحها للزخرفة. وقد وجدت آثارٌ قديمة لأواني مزخرفة إغريقية قديمة ملونة باللون الأحمر الطوبي والأسود والبني والأبيض ، ووجدت كذلك أوانٍ فخارية في

بلاد العراق القديم وعند المصريين القدماء ،

ثم جاء الخزف العثماني ليعتلي مكانته البارزة في دنيا الخزف ، وذلك لدقة صنعه وحسن بهائه ، ويمكن تقسيم الخزف العثماني إلى قسمين رئيسين : الأول وهو الأواني المصنوعة من الفخار الأحمر ، والثاني يشمل الأواني المصنوعة من الخزف الأبيض ، وكان كلا النوعين هشًا سهل الكسر ،

وذلك لأن صانع الخزف لم يكن يهتم بتنقية الطينة المستخدمة في صنعه من الشوائب الرملية والجيرية وغيرها ،

وكان همُّه الزخرفة دون غيرها . وقد صُنع معظم الخزف العثماني في القرن 15 م من الفخار الأحمر المزخرف بالبطانات السائلة متعددة الألوان ، فقد كانت الأواني الفخارية تُطلى أولاً ببطانة بيضاء ثم تُترك لتجف ، ثم يُرسم عليها الزخارف ، ثم تُحدد الرسوم بطلاءٍ دهني أسود حتى لا تختلط الألوان أثناء عملية التجفيف ، ثم تُطلى في النهاية بطلاء زجاجي شفاف ثم تُحرق في النهاية ، وقد قلَّ هذا النوع من الخزف بعد القرن العشرين ،





إناء حجري يعود إلى عصر سنفرو من الدولة القديمة بمصر .

فازة من الخزف العثماني .

وأصبح الفخار الأحمر مقصورًا على الإنتاج الشعبي المحلي ، ثم عاد ليزدهر من جديد في القرن 18 م ، حيث أنتجت أنواعٌ ممتازة من الفخار المطلي اشتهرت به مدن "الدردنيل" و"مورفت" و"كوتاهيه" ، ونجد نماذج من هذا النوع من الخزف قد كست العمائر والمنشآت والمساجد والإيوانات والمآذن مثل مئذنتي جامع محمد بن قلاوون بالقلعة .

ومن أفضل أنواع الخزف العثماني الخزف التيموري نسبةً إلى "تيمورلنك" الذي حكم وسط آسيا عام (771هـ / 1370 م) وُجدت في حفريات قرية "كوبجي" بداغستان ، وقد استخدم هذا الخزف الرسوم الزرقاء على أرضية بيضاء ،

ويبدو أن تأثره بالزخرفة الصينية كان قويًا ، كما عُرف الخزف الأبيض ، وأكثره في صُنع الأطباق ذات القاعدة الصغيرة ، كما تنوعت أشكال الخزف التيموري في الأباريق والزهريات والقنينات التي أستخدمت في حفظ العطور ، وقد لعبت الزخارف النباتية دورًا مهمًا في زخرفة الأواني الخزفية في هذا العصر مثل فصوص المراوح النخيلية والأشجار ،

واستخدموا رسوم الحيوانات كالغزلان وسط الأشجار ، ورسوم الحيوانات الخرافية كالتنين والكيلين وهو يشبه الأسد وله ذيل طويل كالعقرب ورقبة طويلة ، وكانت الزخارف ذات الأشكال الهندسية لها دورها الكبير في تحلية أسطح هذا الخزف ، فانتشر على سطحه الزخارف المثلثة والدائرية .



مشكاة رائعة من الزجاج الملون كُتبت عليها

(إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)

الفسيفساء

يقوم هذا الفن على تثبيت قطعٍ صغيرة من الزجاج الملون أو الشفاف على الجدران أو الأرضيات ، وتُرص متجاورة بنظامٍ محدد ليرى الناظر إليها صورة فنية جميلة ، ويتم تثبيت هذه القطع بطبقة من الجص أو الأسمنت وتغطي السطح المراد زخرفته . وكان للإغريق ثم للرومان عناية كبيرة بهذا الفن بلغا فيه درجة كبيرة من الإتقان والدقة ،

ثم أخذ هذا الفن يضمحل مع ضعف الدولة البيزنطية ، وبدأ هذا الفن يستعيد بريقه من جديد ويتطور في عهد الأمويين الذين كانوا أول من رعى الفن المعماري وما يتصل به من فنون الحلية والتجميل ومن هذه الفنون الفسيفساء التي استخدموها بمهارة بالغة في تزيين قبة الصخرة التي بناها عبد الملك بن مروان عام (72 هـ / 961م) ،



مسجد قبة الصخرة ببيت المقدس

وهو عملٌ رائع إذ يُعد هذاالعمل الرائع أول وأقدم محاولة ظهرت في العصر الإسلامي لفن الفسيفساء الذي غطى جدرانه بزخارفه نباتية بأشكالٍ فريدةٍ ، وقد تأثر فن الفسيفساء العربي المستخدم في زخرفة المسجد الأموي بالفن الهلينيستي أكثر من قبة الصخرة ، وقد وُجدت هذه الفسيفساء تزين جدران القصور الأموية مثل : قصر "خربة المفجر" قرب أريحا حيث غُطيت أرضيته بزخارف الفسيفساء الجميلة التي تمثل شجرة رمان مورقة يقف على جانبٍ منها زوجٌ من الغزلان يرعيان العشب ، وعلى الجانب الآخر أسدٌ ينقض على غزالٍ آخر ، ويخال الناظر إليها من روعتها أنها سجادة رائعة الرســـــم والتلوين .

وقد استخدم الفنان السلجوقي في تركيا الفسيفساء الزخرفية في تغطيـــة جدران المحاريب والقباب ، وكانت الألوان المستخدمة تتـراوح بين الأزرق الفاتح ، والداكن ، والبني ، والأسود ، والأبيض ، والذهبي ، وأبرز ما ظهر استخدامه في تركيا كان في عمائر قونية في القرن 13 م ، لكن الإيرانيين في العصر المغولي فاقوهم في هذا الفن في القرن 14 م ، وكانوا يتميزون بصغر حجم القطع المستخدمة في الزخرفة وفي دقة أنواع الزخارف النباتية والهندسية ، وفي زهو ألوانها ، ومن أجمل آثارهم زخرفة محراب المدرسة الإمامية ، وترجع إلى عـــام (775 هـ / 1354 م) ،

كما زُخرفت القباب بنماذج رائعة منه مثل الجامع الأزرق ، وفي مصر في الدولة الأيوبية وُجد أثرين شُيدا في عهد شجرة الدر وهما ضريحان أحدهما للملك الصالح نجم الدين أيوب زوجها يوجد بحي النحاسين ويُعرف بالقبة الصالحية ، والثاني بقبرها المعروف بقبة شجرة الدر .



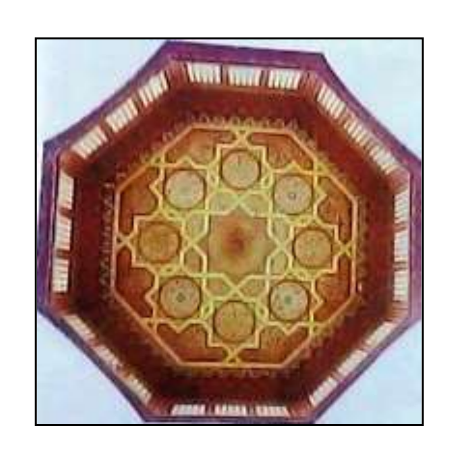


لوحتان جداريتان من الفسيفساء ترجعان إلى العصر الروماني

فن زخرفة المعادن

وكما أبدع الفنان المزخرف على الزجاج والخزف كان له إبداعٌ من نوعٍ جديد في فن زخرفة المعادن وذلك بحفره وطرقه لينفذ على سطحه تحفة فنية رائعة ، وقد اشتهر هذا الفن في كثيرٍ من الحضارات القديمة ، مثل إيران في القرن الرابع عشر الميلادي (القرن الثامن الهجري) ، مثل الإناء الموضَّح ، وهو مصنوعٌ من النحاس الأصفر المزخرف بنقوش غائرة ومُكَفَّت بالفضة والذهب ، صُنع في جنوب إيران (القرن 14 م / القرن 8 هـ) .

ومن الأماكن التي تشتهر بها هذه الصناعة بمصر خان الخليلي وهي منطقة شعبية يقبل عليها السائحون لشراء مثل هذه الأعمال الزخرفية التي أبدع فيها الفنان العربي، وكانت بالنسبة له حرفة وهواية تتوارثها الأجيال .













تحف فضية – طوب كابي

الفهرس